

من النثر الصوفي . القيمة الفنية للنثر الصوفي

فن المناجاة عند عبد الغني النابلسي، وفلسفة مولد الروح المحمدية عند الشيخ الكردي

From Sufi prose. The technical value of Sufi prose

The art of communion for Abdul -Ghani Al -Nabulsi, and the philosophy of the birth of the Muhammadan spirit of Sheikh Al -Kurdi

المؤلف المرسل : د. رضوان محمد سعيد إيزولي* Radwan "Moh'd-Said" Eazolli

جامعة البلقاء / الأردن radwan.kurdi@bau.edu.jo

Article معلومات المقال info	Abstract (لا يزيد عن عشرة أسطر)
تاريخ الاستلام 2024/01/29 تاريخ القبول 2024/03/25 تاريخ النشر 2024/05/28	يتناول هذا البحث النثر في الادب الصوفي بالمناقشة والدرس والنقد واستخلاص النتائج وركز على المناجاة كنوع أدبي وسلط الضوء على شعرية اللغة الصوفية وموسيقاها الداخلية 2 وقسم البحث المناجاة الى قسمين قسم فني ادبي وقسم فلسفي اشاري مع مناقشة الغموض في الاعمال النثرية فناقش القيمة الفنية لمقالات الجيلاني الرمزية ومناجاة الحكيم ومناجاة القديم لعبد الغني النابلسي وكذلك اللغة الصوفية وغموضها في نص مولد الروح المحمدية للشيخ محمد سعيد الكردي. وعرض البحث للمصطلح الصوفي وتجليات المناجاة وشعرية لغتها واثار التجربة الصوفية في لغة الادب الصوفي الناتجة عن التجربة الصوفية وإحياءاتها الذوقية وقدمت ادبا رفيعا أسس لظهور قصيدة النثر لما تحويه من تناعم بين اللفظ والمعنى وناقش البحث جانباً من الحقيقة المحمدية التي عبر عنها الشيخ الكردي في مولد الروح المحمد وكشفت الدراسة عن ارث التصوف الادبي عند الجيلاني والنابلسي والكردي
الكلمات المفتاحية النثر الصوفي، المناجاة ، الشعرية ، الرمزية ، النقد الأدبي.	
Key words (05) Sufi prose, monologue, Al- poetics, symbolism, literary criticism	This research dealt with prose in Sufi literature through discussion, study, and desire for results. It focused on the monologue as a literary genre and shed light on the poetics of the Sufi language and its inner music. The research divided the monologue into two parts, a literary artistic section and an indicative philosophical section, with a discussion of ambiguity in prose works, and a discussion of the artistic value of Al-Jilani's symbolic articles. And the monologue of the Wise and the ancient monologue of Abd al-Ghani al-Nabulsi, as well as the birth of Sufism and its ambiguity in the text of The Spirit of Muhammad by Sheikh Muhammad Saeed al-Kurdi. "For a study of the term Sufi, the manifestations of the monologue, the poetics of its language, and the impact of the Sufi experience on the language of Sufi literature. The Sufi experience and its tasteful revelations to the Eberst create a high literature that established the emergence of the prose poem because of the harmony it contains between pronunciation and meaning. The research discussed an aspect of the Muhammadan truth expressed by Sheikh al-Kurdi in The Birth of the Soul of Muhammad. A study revealed the legacy of literary Sufism among Al-Jilani and Al-Nabulsi

المؤلف المرسل : د. رضوان محمد سعيد إيزولي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين اما بعد فان البحث في التصوف وآدابه من الموضوعات الشائكة التي تحتاج الى جهد يليق بهذا الأدب الرفيع الذي يمثل الجانب الروحي للدراسات الأدبية في الأدب العربي، واستثناؤه يفقد الأدب عنصرا أساسيا من مكوناته وغرضا من أغراضه ولما كان هذا اللون من الأدب غامضا لجأ فيه الأديب الصوفي الى الانزياح والتمويه قاصدا ليتخلص من ملاحقة الفقهاء والحساد والعذال المتربصين بهم لسقطة أو شطحة صدرت في حال غيبة فيعرض نفسه للملاحقة وربما القتل كما فعلوا مع الحلاج والسهورودي .

وبعد أن استقر أديهم ونضجت تجربتهم وتوافقوا على مصطلحات لا يفقهها الا من خاض تجربتهم الروحية أصحبت لغتهم تحتاج الى تأويل رموزها وفك شيفرة مصطلحاتها وجلاء غموضها؛ مما جعل الدارسين والنقاد يشيخون عن ودراسته، والخوض فيه، وبيان جمالياته المخبوءة وراء مصطلحاته ورموزه خاصة تلك الطائفة من الأدباء الذين أكثروا من استخدام الرمز الصوفي، ولا ننكر أن هناك من الدارسين من أنصفوا الأدب الصوفي وبينوا قيمته الفنية من حيث: لفظه ومعناه وأسلوبه وصوره الفنية، وملامح الجمال فيه، بل سبقهم فيما يتعلق بالروحانيات وأثر هذا الادب في المتلقي، وهم ثلة قليلة ركزوا دراساتهم على الشعر الصوفي ومروا بالنثر الصوفي مروراً سريعاً بالرغم من ظهور النثر على الساحة الأدبية قبل الشعر الا ان حظه من الدراسات كان قليلا مع أن بواذر الأدب الصوفي ظهرت في فن المناجاة والأدعية والحكم والمقالات والرسائل والمواعظ قبل ظهور الشعر الصوفي بما يزيد على القرن تقريبا.

ونظرا لما للنثر الصوفي من قيمة أدبية ونتيجة لاطلاعي على مواقف النفري ورسائل ابن عربي، وحكم ابن عطاء ومناجاته، ومواعظ الحسن البصري، ورسائل اخوان الصوفا وأخيرا صحبتي لمؤلفات عبد الغني النابلسي الطويلة ووقوع مخطوطه بين يدي والتي عنوانها بـ "مناجاة الحكيم ومناغاة القديم" وعنايتي بهذه المخطوطة، ومقابلة نسخها ورصف حروفها على الآلة الكاتبة رغبت في كتابة هذا البحث خدمة لفن النثر الصوفي عامة، وفن المناجاة خاصة والتنويه بمناجاة الشيخ النابلسي علّها تجد طريقها للعناية والدراسة والتحليل، وأعتقد أنّ هذا البحث سيضيف دراسة جديدة إلى الدراسات الأدبية الخاصة بالأدب الصوفي.

وفي هذا البحث يحاول الباحث الخوض في النصوص النثرية التي فاضت من قلوب المحبين الربانيين على ألسنتهم معبرين فيها عن مواجيدهم ومشاعرهم وعواطفهم تجاه الذات الإلهية، والغوص في أعماق مشاعر النفس الانسانية والتي نجدها في: الدعاء والتهجد والوعظ والمناجاة، والمخاطبات، والمواقف، والحكم، والرسائل والخطب، وقصة المولد النبوي والأحزاب، فهذه الألوان الفنية يطلقها الصوفي وهو متبتل في محرابه سحرا يدندن فيها ويترنم والتي ضمها الصوفيون الى

نتاجهم الأدبي وهم في حالة من الاصطلام الذي يجده الصوفي من خوف مقلق وشوق محرق ليعبر خلالها عن مواجيدته بلغة فنية تتراوح بين الشعر والنثر وهما الرافدان للأدب الصوفي.

• الدراسات السابقة: قليلة هي الدراسات التي خاضت في النثر الصوفي ⁽¹⁾: مقارنة بما حظيت به الفنون الأدبية

دراسة وضحي يونس "القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري" التي تناولت النثر الصوفي بالتحليل والنقد، دراسة فنية أكاديمية استفاد منها الباحث.

لم يطلع الباحث على دراسة تناولت مناجاة النابلسي ولا مولد الروح المحمدية للشيخ محمد سعيد الكردي وهي أول دراسة حول هذين العاملين الصوفيين على حد علم الباحث.

منهج البحث: اعتمدت في دراستي هذه المنهج الاسلوبي القائم على الاستقراء والتحليل للنصوص

التمهيد: مدخل للنثر الصوفي وفن المناجاة: ، مع أن الأدب الصوفي: شعره ونثره ظهر منذ القرن الثاني للهجرة ومن "الأسف إن الأدب العربي لم يول له الاهتمام الكافي بعرض نماذج منه على الناس واكتفوا بالأدب المادي يقول أحمد أمين: ⁽²⁾ "والأدب الصوفي مرّ منذ ظهوره بأطوار ثلاثة فالأول منها منذ " ظهور الإسلام وينتهي في أواسط القرن الثاني الهجري،...والطور الثاني يبدأ من أواسط القرن الثاني الهجري الى القرن الرابع ... والأدب الصوفي في طوريه الاول والثاني أغلبه نثر، وإن ظهر الشعر قليلا في طوره الثاني وأول نثره كان في المناجاة ومنه ظهرت بوادر الادب الصوفي

والقرن السابع حتى أواسط القرن الثامن هو العصر الذهبي للأدب الصوفي، غني في شعره، غني في فلسفته، شعره أغنى ضروب الشعر وأرقاها، وهو سلس واضح وإن غمض أحيانا، ... وتقرؤه فتحسب أنك تقرأ معاني رقيقة عارية لا ثوب لها من الألفاظ، خياله رائع يسبح بك في عالم كله جمال، عواطفه صادقة يعرضها عليك كأنها كتاب إلهي تقلبه أنامل الملائكة، يقديس الشعراء فيه الحب، ولا بد أن يكون الإنسان هائما أيضا مسلحا بكثير من الأذواق والمواجيد والحالات التي يعتقدها المتصوفون حتى يسايرهم الفهم ⁽³⁾

ولا شك أن اللغة هي الغلاف الذي يحتوي المعاني والقالب الذي تصب فيه مشاعر الأديب لظهار كوامنه وأفكاره فجاءت تعبير عما يعتقده فلا غرابة أن يستخدم الأديب مصطلحات الحب إذا أراد التعبير عن حبه ومصطلحات العقيدة حال تعبيره عن عقيدته، فلكل فنّ معجمه ومصطلحاته، ولكل علم لغته وخصوصيته وللتصوف لغته وخصوصيته ولغته

الخاصة به؛ لخصوصية طبيعة التجربة الصوفية القائمة على العلاقة بين العبد وربّه، وأخيراً للمناجاة لغتها الخاصة التي تمثلها والتي لا يفقهها ولا يفك شيفرتها إلا من عرف هذه اللغة ومصطلحاتها خاصة وأن هذه اللغة بمثابة الرسائل الموجهة للمريد والسالك وهذه اللغة صدرت من عارف خاض التجربة الصوفية ثم عاد ليخبر القوم من الخواص بما استفاد، ليلقيه إلى متلق خاصٍ يخوض التجربة الصوفية ومتعلقاتها الروحانية ولا بدّ للتعبير عن هذه التجربة بلغة تجمع بين اللفظ المعبر عن الحالة الدقيقة، وغموض التعبير الذي لا يستطيع التعبير عنه بلغة عادية، وكأنها أسرار لا يسمح للصوفي البوح بها فغلبت عليها الرمزية، مما جعلها خاصة بمن يفقهها وقد أشار إلى رمزيّتها القشيري والغزالي وابن عربي والجيلاني وعلماء المصطلح الصوفي ولذا نجدهم يعذرون من شطح منهم كالحلاج والبسطامي والسهروزي لعلمهم أنه شطح صدر عن غيبة وسكر وفناء.

واللغة الصوفية تتراوح بين الوضوح والغموض وما ينطبق على لغة الأدب الصوفي ينطبق على فن المناجاة المناجاة فمنها ما هو متعلق بالأوامر والنواهي الشرعية فتستخدم المصطلحات الشرعية وهو ما نجده في مناجاة الأولين من الصوفية والزهاد والعباد فلا غموض فيها وهي لغة شاعرة هامة يبوح بحبها بين يدي الله. ومنها ما يستخدم اللغة الرمزية للتعبير عن المواجيد الذوقية ويمكن أن نسميها (لغة خاصة) يفقهها أهل الاختصاص وهذا القسم هو الذي يكمن فيه الغموض.

المناجاة لغة واصطلاحاً: المناجاة مصدر الفعل ناجى أي: سارّه بما في قلبه من أسرار أو مشاعر، وخصّه بالحديث. ويُناجي الله في السرّ والعلانيّة: يُوجّه كلامه إلى الله لإظهار خُشوعه وعبادته والتناجي والمسارة بين الأوبة والبوح بمواجيدهم ساعة خلوتهم يتناجون بأحاديث هامة سحرا، والتناجي من أهم خصائص المحبين ساعة اللقاء وقد خلا كل حبيب بحبيبه فالصوفية: " اتحدوا بكلماتهم لأنها همسات أرواحهم، ومرايا نفوسهم، وصدى أفكارهم، حتى لم يعد الصوفي كاتباً، بل أصبح هو كلماته المكتوبة ذاتها، ومن هنا كان النصّ الصوفي ابتداءً كتاباً جديداً " (4) لم يكن متاحاً للدراسين خوفاً من الخوض في المعميات اللفظية والرموز العرفانية التي يصعب تفكيكها، وظننا منهم أن المناجاة ليست مجالاً أدبياً يصلح للدراسة بل هي أدعية ليس لها قيمة أدبية، وعند الخطيب هو " الحديث إلى الله عز وجل والتضرع والابتهاال إليه، وغالباً ما يكون ذلك في الليل، بعيداً عن ضوضاء الناس وعجيج الكون، وعدم وجود أحد معه، لذلك سمي مناجاة ومسارة وهمس وبوح عن لوايح مشاعرهم، وذلك الأدب الرفيع هو الذي أنشأه المتصوفة " (5) ولا شك أن فن المناجاة فيه من الغموض والايحاءات والرموز وخاصة تلك التي صدرت عن ابن عربي والحلاج والنفري والنابلسي، وهذا لا يعني أن كل مناجاة غامضة ولكننا نجد مناجاة شاعرية شاعرة هامة لها قيمة أدبية وهذا ما دعاني إلى تقسيم المناجاة إلى قسمين: مناجاة شاعرية واضحة، ومناجاة فلسفية غامضة

1- المناجاة الشاعرية

وهي تلك الناتجة عن الدفقات الشعورية الصادرة عن فيض عشق لا يقدر العاشق إخفاء لواعج الحب التي تضطرم في داخله، وقد تأججت فيه نيران الشوق المحرق بركانا تفجرت منه مرغما، ولا طاقة له على كبح جماح فيضها فخرجت بعد خفقان قلب، واضطراب جوارح، وانعقاد لسان؛ لتعلن عن ولادة لغة جديدة تصف ما لا يوصف تقابل اللغة المتعاهدة لتفرغ تلك التنزلات والمنازلات الحبيّة بهذه اللغة التي ألقاها الصوفي حال مناجاته ليبوح في خلوته بما لم يقدر على كتمانها لتظهر على لسانه فيضاً روحياً مكاشفات علوية في حال من الترقى في معراجة الروحي وهو غارق في حالة من الفناء والاصطلام والغيبة فيخفي مقصودة وراء لغة غامضة أحالها إلى اصطلاحات تعارفوا عليها⁽⁶⁾ ولا يعرفها إلا أهل هذا الفن فنسمعه يقول ما لا يعني ظاهر اللفظ فنجد؛ فاللفظ الصوفي حمّال أوجه ليبقى النص الصوفي خلاقاً في شاعريته؛ ليحمل لغة أخرى قد يقرؤها من عاش التجربة الصوفية، وملك المعرفة بالمصطلح الصوفي المستمد من لغة العاشقين والمحبين ولغة الخمرين حيث حولوا هذه اللغة إلى مصطلحات عرفانية بحيث يظنها القارئ مواجيد العذريين، وسكر الخمرين، فالدارس يستبسط منها ما ورائيات اللغة أو معنى المعنى حيث تتوالى اشاراتها وراء تجسدها بحيث يتوازى الحضوران الظاهر والباطن، والمتعين والمضمر. وتفنن الصوفيون في أنواع المناجاة شعراً ونثراً وكلها تدور حول المحبة والخوف والرجاء والتذلل على أعتاب الله طمعاً في قربه والوصول إليه في معراجهم الصوفي وهذا الفن (المناجاة) كان له الريادة في الأدب الصوفي وإن كان موجوداً منذ العهد الأولي للإسلام وجاءت المناجاة في أدعية رسول الله وصحابته نحو مناجاته في الطائف، بعدما خذلته ثقيف ولم تنصره، وبعد أن عزّت عليه الأسباب فلجأ إلى الله سبحانه وتعالى مضطراً فوقف متضرعاً مناجياً ربّه: "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ! أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكَلِّمُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ" [ابن هشام 420/1] ثم في مناجاة الصحابة والتابعين كمناجاة عبد الله بن رواحة يناجي نفسه ويحثها على الاقدام قائلاً:

أقسمت يا نفس لتنزلني لتنزلن أو لتكرهني

إن أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضا

:يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت (7)

ثم نجد هذا اللون من المناجاة قد شاع وانتشر عند زهاد الصوفية وهم حالة من الاتصال والتذلل بين يدي الله متضرعين خاشعين، ونجد كثيرا من النصوص الصوفية شعرية في تركيزها على اللغة الإبداعية تركز على الجمال الفني في الصياغة الخلاقة الموسيقية الموحية لتعبر عما يخالج المحبين من شوق محرق وخوف مقلق ولوعة العاشق الموله فعبروا عنها بهذه اللغة الشاعرية في حال من المناجاة والتذلل والدعاء خوفا ورجاء خرجت تصدح بلغة ملؤها الصدق نبعت من معين معرفتهم بالله وكأنها قصيدة شعر، فلغة فن المناجاة قريبة من قصيدة النثر بل هي قصيدة النثر بعينها وباكورتها، والحق ان النص الصوفي ليس كله شاعريا وموسيقيا ومن أمثلة هذا القسم ما وجدناه في مناجاة عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي (ت: 115هـ) (8) يناجي ربه ويحدث نفسه ويلومها ويوبخها لما فرطت في جنب الله وهي مناجاة طويلة كلها نخب نقتبس منها: "ويحي بأي شيء لم أعص ربي؟! ويحي إنما عصيته بنعمته عندي! ويحي من خطيئة ذهب شهوتها وبقيت تبعثها عندي في كتاب كتبه كتاب لم يغيبوا عني واسواتاه لم أستح ولم أراقب!! واسواتاه! ويحي! حفظوا ما ضيعت مني ويحي! طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني. ويحي! ويحي! طاوعتها فيما يضرها ويضرني ويحها ألا تطاوعني فيما ينفعها وينفعني أريد اصلاحها وتريد أن تفسدني ويحها اني لأنصفها وما تنصفني أدعوها لأرشدتها وتدعوني لتغويني ويحها! إنها لعدو لو انزلتها تلك المنزلة مني ويحها! تريد اليوم ان ترديني وغدا تخاصمني" انه في صراع عنيف مع نفسه لعلمه انها عدو تريد له سوء الختام وبعد توبيخها يناجي طالبا من ربه ان يعينه عليها قائلا: "رب لا تسلطها علي - رب إن نفسي - لم ترحمني فارحمني - رب إنني أعذرها ولا عذرتني، إنه ان يك خيرا أخذلها وتخذلني، وإن يك شرا أحبها وتحبني رب فعافني منها وعافها مني... ان حجت يوم القيامة عن ربي فلم يزكني، ولم ينظر إليّ ولم يكلمني، فأعوذ بنور ربي من خطيئتي. ويحي هل أضرت غفلي أحدا سواي؟! ويحي كأنه تصرم أجلي، ثم أعاد ربي خلقي كما بدائي. ثم يدخل بحوار مع نفسه قائلا: يا نفس لم تكرهين الموت؟! ولم لا تذعنين! وتحبين الحياة! لم تتصنعين؟! تقولين في الدنيا قول الزاهدين! ولا تعملين فيها عمل الزاهدين!... الهي انت الذي خلقتني، وفي الرحم صورتني، .. إلهي فارحمني، إلهي فكما مننت علي بالاسلام فامنن علي بطاعتك، وبترك معاصيك أبدا ما أبقيتني .. بأي وجه ألقاك؟! بأي قدم أقف بين يديك؟! وبأي لسان أناطتك؟! وبأي عين أنظر إليك! فامنن علي بطاعتك، سبحانه فاقبل توبتي، واستجب دعوتي... " (9) وهكذا يعوذ بالله من شر نفسه ويرجوه نصره عليها وان يستجيب دعاءه يناجيه

معترفا خجلاً في تذلل وصغار، وخوف ووجل من الواحد القهار، من الوقوف بين يديه لأن البعد عن الله يكمن في سلطة نفسه عليه وقد قال الصوفية أعدا اعدائك عليك نفسك التي بين جنبيك، وهكذا يسترسل في مناجاته بلغته الشاعرة التي تخرج من أعماقه دون تكلف مستخدماً المحسنات اللفظية والمعنوية التي جاءت عفو الخاطر، ويحاول كبح جماحها، بلغة دبلوماسية، ويبين لها رعوناتها وتقول ما لا تفعل عليها تنقاد وترعوي وينتقل بالخطاب المفاجيء مع الله طالبا الرحمة والمغفرة والستر بعد خطاب النفس الذي أدرك من خلاله انه لا طاقة له عليها ويعلم أنها أمانة بالسوء، والمناجاة تعد من طلائع وبوادر الأدب الصوفي الذي نجده قد انتقل مع الصوفية في أذكاهم وأورادهم ودعائهم وأحزابهم والتي يعيشها الصوفي حيثما حلّ وأينما ارتحل.

ومن أمثلة النثر الصوفي ما نجده في مواعظ الأوزاعي وخالد بن صفوان والحسن البصري [ت:110هـ] ورسائله الى عمر بن عبدالعزيز التي تدور حول الزهد في الدنيا - التي أقبلت على المجتمع الاسلامي بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية وانفتاحها على الحضارات وكثرة المال في أيدي الناس الذي صرف الناس إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها- والبعد عن متعلقاتها فنشط الحسن البصري ونظراؤه بترهيد الناس في الدنيا بلغة أدبية تقوم على التصوير والقص المؤثر في السامعين من ذلك قول الحسن البصري: "يا ابن آدم عملك فإنما هو لحملك ودمك، فانظر على أي حال تلقى عملك، إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عزوجل.. هيهات هيهات ذهبت الدنيا، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم " بهذه اللغة المؤثرة كانوا يزهّدون الناس بالدنيا لغة تدخل القلوب وتؤثر في النفوس، لغة سهلة سلسلة تناسب شعرا رقيقا، تؤثر في القلوب وتترك أثرها على الجوارح وتحرك الوجدان . فنثرهم ظهر على شكل زهادة ومواعظ ، وتميزت مناجاة الصوفية بدفع المعاني الغزلة وحرارة احاديث التناسل ودفق السعادة الطاغية للظفر بالمحبوب في خلوة حرة من كل قيد وما هو ابن عطاء الله السكندري يتذلل لحبيه مناجيا : "إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرا في فقري، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي"⁽¹⁰⁾ ولا يرضى غيره مهما حصل من النعيم فالسعادة كل السعادة في حبك ومعرفتك ولا أرضى بسواك بديلا والخسران والخيبة فيمن فقدك وجهلك: "إلهي ماذا وجد من فقدك ، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك متحولا إلهي كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان، ...إلهي كيف أخيب وأنت أمني، أم كيف أهان وعليك متكلي"⁽¹¹⁾ "وهذه رابعة تناسل وقد براها العشق في حالة من الاستغراق: "إلهي أغرقني في حبك حتى لا يشغلني شيء عنك، إلهي أنارت النجوم ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك. ثم تقبل على صلاتها فاذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني

ليأتي فأهناً، أم رددتها على فأعزى، فوعزتكم هذا دأبي ما أحييتني وأعنتني، وعزتكم لو طردتني عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبي من محبتك" (12) نعم انه العشق المعبر عنه من خبيرة العشق الإلهي رابعة التي لا تطمع في جنة ولا تخاف من نار بل تطمع بحبيها: "إلهي اجعل الجنة لأحبائك، والنار لأعدائك، أما أنا فحسبي أنت" ومن مناجاة ذي النون المصري [246هـ] قوله: "لئن مددت يدي إليك داعياً، لطالما كفيتني ساهياً، أأقطع منك رجائي بما عملت يداي؟! حسي من سؤالي علمك بحالي" (13)

2- لغة المناجاة وفلسفتها وإشاراتها ورمزها

يقوم هذا القسم من المناجاة على اللغة الرمزية التي يكتب فيها الصوفي مناجاته وهو في حالة من التجلي؛ حال فناء وغيبته بأنوار التجلي بلغة الرمز والتلويع والإشارة البعيدة عن التصريح مستمدة مما يعايشه الصوفي من وجد ومكاشفات نُقلت إلينا بلغته الخاصة التي تعبر عن مواجيد ومشاهداته لينقلنا من عالم الحس إلى عالم المعنى، ومن عالم الحقيقة إلى عالم الخيال، ومن المقيد إلى المطلق ومن عالم الأشباح إلى عالم الأرواح ومن ضيق العبارة إلى سعة الإشارة، و"الحق إن تلك الإشارات ليست وليدة دراسة العقول، وإنما هي وليدة الإلهامات بعد فتح عيون القلوب" (14) إنما هي رموز وأسرار لا تلحقها الخواطر والأفكار، إن هي إلا مواهب من الجبار جلّت أن تنال إلا ذوقاً ولا تصل إلا لمن هام بها عشقاً وشوقاً (15) فابن عربي يرى "أنّ الصوفي لا يستطيع نقل مشاعره محددة إلا بالذوق ولا يسمو إليه الفكر، وما هذه الرموز إلا لمن هام من القوم، وومن غاب في عشقه الإلهي (16). وهذا ما أشار إليه ابن الفارض في قوله: (17)

"وعني بالتلويع يفهم ذائق: غني عن التصريح للمتعتب"

بها لم يبح دمه وفي ال: إشارة معنى ما العبارة حدث"

ومن خلال هذا المحور أو المركز تنطلق اللغة لتشكل النصوص الصوفية ورموزها وإشاراتها تنطلق منسجمة مع الحياة الروحية للصوفي خلال معراجه وتنقله في مقامات الحب والعشق الإلهي، وعبر هذا الارتكاز تتحرك دائرة النص الصوفي في رمزيها وفاعليتها الإشارية مشكلة وحدة بين الحال الذي يعيشه الصوفي من الذوبان والفناء ولغته الغامضة في دلالاتها المتولدة من تلك الحال وبناء على ذلك جاءت لغة الصوفي لغة رمزية تلويعية مسكونة بمواجيد الحبية وكأن إشاراته هذه هي حلقة الوصل بين عالمي الحس والخيال، وبين عالمي المادة والروح والتي شكلت لنا المصطلح الصوفي المتعلق بلغة الإشارة المفهومة عند الصوفيين: الفناء والبقاء فالفناء غيبة والبقاء حضور والصحو والمحو والقبض والبسط والقرب والبعد وهو ما نجده في المعاجم الصوفية التي تشكلت من العروج الصوفي خلال التجربة فهي لغة أحوال تعبر مواجيد ناتجة عن المعاناة عانها من شدة الشوق والخوف من عدم الوصول والقبول أنها لغة لا يفصح عنها المحبون إلا تلويعاً وتلميحاً ورمزاً وإشارة يصوغها الصوفي الواله دمجاً بين كثافة اللفظ ولطافة المعنى وغالباً ما نجد لغة المناجاة تستخدم الضمير: ضمير المتكلم وضمير

الخطاب لاستغراقه في معراجة في التجليات الإلهية معظما ومعلنا عجزه تجاهها فالمناجاة قائمة على الخطاب والحوار مع الذات ومع الله تعالى .

ومن مميزات النص الصوفي الذي لا يقف عند حدود المعنى الحسي للكلمة انه يفتح آفاقا جديدة لدى المتلقي ليجر غائبا في عالم الخيال الذي يلائم تجربته الصوفية، وعالم الخيال عند الصوفية من أعظم ما خلق الله فهو عالم خلاق للصور وجلاب للمتخيل، ويستحضر بخياله المحبوب في تجليات مشاهدة (كأنك تراه) وتجليات مراقبة (فإنه يراك). وينتج عن المناجاة فيوضات ربانية وتجليات نورانية يفنى الصوفي أثناءها عن الأنا المنتنهي في اللامتناهي، ويتحقق من قول: الله قل وذو الوجود وما حوى: إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله ان حققته عدم : على التفصيل والاجمال

وقول: إياك تشهد غيره ودع العنا : لا أنت في هذا الوجود ولا أنا

ليطالع مجالي الجمال في مجاهداته ومكاشفاته وقد- استولى الحب على قلبه ولبّته فيظن أنّه هو فيشطح ويقول ما لا يقال ويتم بالحلول والاتحاد فيتلفظ في حال سكره قائلا "سبحاني" أو "حسب الواحد أفراد الواحد" ويصف الإمام الغزالي هذه الحال بقوله: "العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذوقا وحالا، وانتفت منهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستهوت فيها عقولهم، فصاروا كالمهوتين فيه، ولم يبق فيهم متسع لذكر غيره تعالى، ولا لذكر أنفسهم أيضا، فلم يبق عندهم إلا الله، فسكروا سكرًا وقع دونه سلطان عقولهم، فقال بعضهم "أنا الحق" وقال الآخر "سبحاني ما أعظم شاني" وقال الآخر: "ما في الجبة إلا الله" وكلام العشاق في حال السكر يُطوى ولا يحكى. فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله تعالى في أرضه، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط عشقه "أنا من أهوى ومن أهوى أنا : نحن روحان حللنا بدنا"¹⁸.

مما سبق عرفنا سرّ الغموض في هذا الجزء من المناجاة وهو ما نجده في مواقف ومخاطبات النفري وفي معراج ابن عربي وإسرائيه وفي مقالات الجيلاني الرّمزيّة وطواسين الحلاج ومناجاة النابلسي ومناعاته، شأنها في ذلك شأن العذريين من الأدباء الذين لجؤوا كعادتهم إلى كتمان الحب؛ فجاءت على شكل رمزي أخفوا وراء ألفاظهم حقيقة مقصدهم والأدب الصوفي كذلك فقد عبروا عن مواجيدهم بطريقة رمزية لما بينهم وبين العذريين من تشابه في حالة الحب وأشار ابن عربي إلى ذلك بقوله "اعلم أيها الولي الحميم أيّدك الله بروح القدس، وفهمك" إن الرموز والألغاز ليست مرادة لأنفسها وإنما هي مرادة لما رمزت له ولما ألغز

فيها⁽¹⁹⁾ " فهم كثيرا ما يعتمدون الصور الحسية، ليعربوا بالتنويه بها عما يقارنها من تجاربهم المعنوية المحضة وأكثر هذه الصور مأخوذ من مجال حب الإنسان للإنسان، ومن ملذات الحياة، وإن كان مرادهم منها يتجاوز ذلك كله⁽²⁰⁾ وإذا عمد الصوفي إلى التعبير فلا بد له - من تجربة ذوقية عميقة مفردة شديدة الاستحواذ على النفس من أن يحاول فيستنفذ طاقات الحرف كلها، ويستنزف أنواع دلالات الكلمة، وتفاوت إيماءات اللفظ، وتشعب طرق البيان، معولا في ذلك على ثقافته، وعلى التراث الفكري والأدبي الذي انتهى إليه⁽²¹⁾

ونجد الصوفي يقول ما لا يقال ويصف ما لا يوصف فالصوفي ابن تجربة " تتأبى على أدق أساليب البيان، وتتصعب على أغنى وسائل التعبير، وتعتاص على ألين وجوه القول؛ وعندئذ يتكلم فإذا هو لا يكاد يبين، وينطق فإذا هو إلى العي والبهامة أقرب منه إلى البلاغة والفصاحة، ويحاول أن يترجم فإذا هو يتلكأ ويعيد ويتمم ويجمع⁽²²⁾ " ولذلك " نجد أن التعبير شديد التجريد، وتعجب لهذه الكلمات من دون شكل ولا نطق ولا صوت، ثم تحار في الحبيب ذي الصفات المتقابلة المتضادة، لا تناله رسوم الصفات ولا غيرها⁽²³⁾

ولذلك اعتبر الصوفية أن من تكلم في علمهم هذا فهو البحر الذي لا يدرك وهذا التوحيدي يقول: "يا هَذَا ! إِنَّكَ إِنْ عَرَفْتَ هَذِهِ اللِّغَةَ وَاسْتَخْرَجْتَ حَالَكَ مِنْ هَذَا الدِّيَوَانِ وَحَصَلَتْ مَالِكَ وَعَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْحَسَابِ أَوْشَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَجْدُوبِينَ إِلَى حُطُوطِهِمْ، الرَّاسِخِينَ فِي عِلْمِهِمْ، وَالْخَالِدِينَ فِي نِعْمَتِهِمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَنْ هَذِهِ الْكِنَايَاتِ عَمِيًّا، وَعَنْ هَذِهِ الْإِشَارَاتِ أَعْجَمِيًّا، طَاحَتْ بِكَ الطَّوَائِفُ وَنَاحَتْ عَلَيْكَ النَّوَائِفُ، وَلَمْ تُوجَدْ فِي زُمْرَةِ الْغَوَاذِي وَالرَّوَائِفِ." ⁽²⁴⁾

واشتهر النثر الصوفي في العصر العباسي وبلغ شأوه، فأصبح النثر لغة أهل العرفان والمواجيد والعاشقين بما يبوحون به خلال مناجاتهم التي غدت نوعا أدبيا بما أثر عنهم في خلواتهم، وبما كتبوه من رسائل إلى أتباعهم بل تبلور فن المناجاة على أيديهم... وأدب المناجاة كما عرفه بعضهم بأنه " الحديث إلى الله عز وجل والتضرع والابتهال إليه، وغالبًا ما يكون ذلك في الليل، بعيدًا عن ضوضاء الناس وعجيج الكون، وعدم وجود أحد معه، لذلك سمي مناجاة ومسارة وهمس وبوح عن لواعج مشاعرهم، وذلك الأدب الرفيع هو الذي أنشأه المتصوفة⁽²⁵⁾ ولا بد من الإشارة هنا إلى ابتكار الصوفية: " شعرية جديدة تتوافق ورؤيتهم للكون والحياة، وهذا ما دفعهم للخروج من مألوف الشعر العربي القديم بحثًا عن أشكال أخرى، كما نجده عند ابن عربي والنفري والتوحيدي وحتى في شطحات البسطامي والشبلي والسهروردي، أنها تعد مخرجًا نثريًا جديدًا يعطي مساحة أوسع للتعبير عن التجربة الصوفية المتعالية عن الحسية، والنابعة من عالم باطني معنوي لم تعهده الشعرية العربية القديمة⁽²⁶⁾ وظهرت رؤيا أبي يزيد البسطامي طيفور [ت: 261] ثم ظهر الحلاج في طواسينه [ت: 309هـ] فمن مناجاته: " حبيبي سترتني حيث شئت، فوعزت لك لو عذبوني بأنواع البلاء ما رأيته إلا من أحسن النعم، لأن شعاع أنواع

الضمائر قد اخترقت مكاشفات أحوال الظاهر، إلهي أخشاك لأنني مذنب، وأرجوك لأنني مؤمن، وأعتمد على فضلك لأنني معتذر، وأثق بكرمك لأنني أستغفر، وأنبسط إلى مناجاتك لأنني حسن الظن بك.⁽²⁷⁾ وكذا النفري في مواقفه ومخاطباته [ت:354هـ] يقول في موقف القرب "أوقفني في القرب وقال لي ما مني شيء أبعد من شيء ولا مني شيء أقرب من شيء إلا حكم إثباتي له في القرب والبعد. وقال لي: البعد تعرفه بالقرب، والقرب تعرفه بالوجود. وأنا الذي لا يرومه القرب، ولا ينتهي إليه الوجود. ومن المخاطبات قوله: "يا عبد : من رأي قرّ إليّ، ومن قرّ إليّ، قرّ في الوجد بي، ومن لم يرني فلا قرار له أين يقرّ، يا عبد من لا قرار له لا معرفة له"⁽²⁸⁾ ومن ثم يطالعنا الجيلاني [470هـ-561هـ] في مقالاته الرمزية ونجد مادة غزيرة للمعرفة الصوفية، ثم تتابع النتاج الأدبي بعد العصر العباسي فظهر ابن عربي والسهروزي وأبو الحسن الشاذلي وظهرت المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ورؤيا الشيخ أبي مدين الغوث [ت:594هـ]⁽²⁹⁾ وحكم ابن عطاء الله السكندري [709هـ] ومناجاته (هواتف الحقائق) وعبد الغني النابلسي [1143هـ] في مناجاة الحكيم ومناجاة القديم، والعربي الدرقاوي [1239هـ] [ومولد الروح المحمدية للشيخ محمد سعيد الكردي [ت:1972م] وكلها من المناجاة الغامضة التي اعتمدت الإشارة والتلويح وابتعدت عن التصريح وتمثل على ما سبق بنماذج تغطي ما أشار إليه الباحث.

3- نماذج من المناجاة الرمزية

1-3 فمن ذلك مقالات الجيلاني الرمزية ومنها المقالة الغوثية: "قال الغوث الأعظم، المستوحش من غير الله، المستأنس بالله: قال الله تعالى: يا غوث الأعظم. قلت: لبيك يا ربّ الغوث. قال: كُلُّ طَوْرٍ بين الناسوت والملكوت فهو شريعةٌ وكلُّ طَوْرٍ بين الملكوت والجبروت فهو طريقةٌ وكلُّ طَوْرٍ بين الجبروت واللاهوت فهو حقيقةٌ. يا غوث الأعظم، ما ظهرت في شيءٍ كظهور في الإنسان. يا غوث الأعظم، مَنْ قَصَرَ عن سفرى في الباطن، ابتلى بسفر الظاهر ولم يزد منى إلا بُعْداً"⁽³⁰⁾.

يحدثنا الجيلاني في مقالته هذه بلغة الصوفية ومصطلحاتهم وأحوالهم ومقاماتهم كاللاهوت والناسوت والملكوت والجبروت والاتحاد والغوث، والحال والوصول والمعراج والمشاهدة والمجاهدة والفقير وطريق العارفين والخطرات والمحبة وهي لغة غامضة ومهمة على غير الصوفي الذي يحتاج للرجوع لمعاجم مصطلحاتهم لفهمها وذاك الغموض في رمزيته لانه يوجه خطابه للخاصة من اهل التصوف الذين يحللون الرمز ويعرفون التلويح الذي يلوح به شيخهم كقوله: كل طور بين الناسوت واللاهوت فهو شريعة، فاذا فني المحبوب عن المحبة وصل بالمحبوب، وهذه الغوثية من النصوص النثرية المهمة في الادب الصوفي لما تحويه من الرموز والمصطلحات التي تكشف لنا عن الانسان الكامل من خلال الخطاب الفهواني خطاب الحق مكافحة في عالم المثال ، والتي قدمها الجيلاني بلغة الادلال⁽³¹⁾

ونجده أشدّ غموضاً في مقالاته الرمزية (الحلاج) التي يقول فيها: "طار طائر عقل بعض العارفين من وكر شجرة صورته وعلا إلى السماء خارقاً صفوف الملائكة كان بازيًا من بزاة الملك مُخَيِّطَ العينين بخيط ، "وخلق الإنسان ضعيفاً" فلم يجد في السماء ما يحاول من الصيد فلما لاحت له فريسة "رأيت ربي" ازداد تحيره في قول مطلوبه "أينما تولوا فثم وجه الله" وعاد هابطاً إلى حضيرة حظة الأرضي طلب ما هو اعز من وجود النار في قعور البحار تلفت بعين عقله فما شاهد سوى الإرادة .. فكر فلم يجد في الدارين مطلوباً سوى محبوبه فطرب .. فقال بلسان سكر قلبه : أنا الحق . ثم ترنم بلحن غير معهود من البشر، وصفر في روضة الوجود صفيراً لا يليق ببني آدم ، لحنٌ بصوته لحنا عرّضه لحتفه " (32).

اقتضى الغموض في هذه المقالة للموقف الذي يعبر فيه عن محنة الحلاج وقتله وفي هذه المقالة يعتذر للحلاج وأنه كان مقهوراً تحت سطوة الاصطلام وسكر المحبة وسلطان العشق والغيبة عما سواه سبحانه وتعالى فأصدر هذه المقالة وقال: "عشر الحلاج ولم يكن في زمانه من يأخذ بيده ولو أدركته لأخذت بيده" إنها قصة وظف فيها الكاتب خياله فالروح تطير الى عالمها باحثة عن صيدها في السماء فوجئت بفريسة وهمية وهي حديث رأيت ربي بصورة شاب أمرد فأصيب بالحيرة وازدادت حيرته عندما تحقق بقوله تعالى: "أينما تولوا فثم وجه الله" والحيرة مقام لان العجز عن درك الادراك ادراك والعشاق يطلبون الحيرة وورد في الاثر اللهم زدني فيك تحيراً" وابن الفارض يقول: زدني بفراط الحب فيك تحيراً : وارحم حشئ بلظى هواك تسعراً

فاينما اتجة الحلاج لا يرى سوى محبوبه فقال بلسان سكر قلبه أنا الحق وهذا الصغير عرّضه لحتفه

ومن مقالات الجيلاني الرمزية: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَيْفَ الْكَيْفَ وَتَنَزَّاهُ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ، وَأَيَّنَ الْأَيَّنَ وَتَعَزَّاهُ عَنِ الْأَيَّنِيَّةِ، وَوُجِدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَتَقَدَّسَ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ، وَحَضَرَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَعَالَى عَنِ الْعِنْدِيَّةِ، فَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ" (33)

2-3 النابلسي ومناجاة الحكيم ومناغاة القديم

زهد عبد الغني النابلسي في دنيا الناس مستوحشا منهم واعتزل في زاويته في دمشق سبعة عشر عاماً، مستأنساً بربه متبتلاً سالكا يعيش تجربته الصوفية، ومطالعا لعلوم الشيخ محي الدين بن عربي، ونهج نهجه، وكان الأب الروحي له، وقد سجل لنا خلال مسيرته معارجه الروحية ومناجاته وتجلياته ومخاطباته كتلك التي خاطب بها النفري وابن عربي في اسرائه الروحي، وقد ترك إرثاً كبيراً من الفن النثري والشعري يعبر خلاله عن تجربته الصوفية بلغة العارفين؛ وهي نصوص أدبية جديرة بالتناول والدرس خاصة رسالته مناجاة الحكيم ومناغاة القديم والتي لم يتناولها الباحثون في دراساتهم سوى الإشارة إليها

على انها من مؤلفات عبد الغني النابلسي وما زالت مخطوطة ولم تطبع حتى تاريخه، وهذا ما دفعني لدراسة هذه المناجاة والتي تكشف لنا الجانب الروحي والفلسفي للنابلسي. هذا العالم الذي كان بحرا في علوم شتى فكان موسوعيا في نتاجه العلمي وكان له النصيب الأوفر في العلوم العقلية وخاصة علم التوحيد والفقه فكان فقيها حنفيا ويرجع إليه في المسائل العضال، وعلى الرغم من اهتمام النابلسي في الأدب عامة والشعر خاصة فقد أحصي له ثلاثة عشر ديوانا كديوان الحقائق ومجموع الرقائق وبديعته التي شرحها في كتابه "نفحات الأزهار" ونقد خلاله أشهر البديعيات وشرح ديوان ابن الفارض وعينية الجيلي ... الخ فهو عالم وأديب ناقد وصوفي شاعر وشارح وناثر وجميل نثره نجده في مقدمات مؤلفاته وكتب رحلاته وحلو مناجاته في هذه الرسالة التي نقوم بدراستها في هذا البحث.

فرسالة "مناجاة الحكيم ومناغاة القديم" رسالة يبوح فيها عبد الغني النابلسي بخطابه الموجه للذات الالهية بلغة جمعت بين الأدب والفلسفة ولغة الصوفية التي يكتنفها الغموض في أسرار الوجود الحق الذي ينسجم مع فكره الذي شغله، وعبر عنه في شعره ونثره متخذاً من وحدة الوجود ووحدة الشهود نبراسا يسير على أثرهما وهو ما سنعرض إليه في هذا البحث ان شاء الله ولا تخلو لغة مناجاته هذه من جمال العبارة ورقتها وهمس العشاق المحبين فيناجي ربه بالدلال ممزوجا بالجلال فلغته تتراوح بين الجمال والجلال جمال لا يؤدي الى استهتار وجلال لا يؤول الى القنوط.

هذه الرسالة .صغيرة في حجمها جعلها في ستة عشر فصلا وهذه الفصول وكأنها دقات شعورية بل قصيدة منشورة متناغمة قد تصل إلى نصف صفحة وقد تزيد وتنقص مجموع صفحات المخطوط بخط النسخ ثلاث عشرة صفحة والمناجاة كما يصرح النابلسي في أول مناجاة له بينه وبين ربه على خلاف إشارات التوحيدي التي جرد من نفسه شخصية يخاطبها كما أشار لذلك عبد الرحمن بدوي عند حديثه عن التوحيدي⁽³⁴⁾ بل هي قريبة من إسراء ابن عربي وغوثية الجيلاني ففي مناجاته الأولى يقول: "قال لي ربي : أنت تصلح لي " فقلت : كيف أصلح لك وأنا الفاني ؟ فقال : ولا يصلح لي إلا الفاني فقلت : كيف أصلح لك وأخلاقى اخلاق سوء ؟ فقال : أكملها بأخلاقى الحسنه . ثم قال لي أنا أنت ، وأنت لست أنا .. يا عبدي أنا الموجود ولا أنت .. يا عبدي كل الناس عبيد نعمتي ، وأنت عبد ذاتي فقلت يا رب وكيف أنا عبد ذاتك . فقال : أنت عبد الوجود لا عبد الموجود .. الوجود أنا والموجود غيري لأنهم موجودون بي وأنا موجود بنفسي فلماذا قلت لك . أنا الوجود .. وقال لي يا عبدي : لا تخف من سواي . فإني أنا سواي أنا ربك المتجلي عليك بقيومي فيك لا إله إلا أنا ولا معبود سواي على كل حال ، إن أغنيتك بي أغنيتك ، وإن أغنيتك بغيري أفقرتك لا إله إلا أنا فقلت له : يا رب كيف أنا عندك . فقال لي أنت عندي من المقربين وكل من يحبك ، كذلك أنا أحبك وأحب من يحبك فقلت له : يا رب ما علامة محبتك لي . فقال : توفيقى لك إلى ما أحب وأرضى⁽³⁵⁾ " هذه المناجاة قالها النابلسي في حالة من الفناء عن نفسه والغيبة في ربه فالأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحديته ذاته فلا يشهد الا الله سبحانه وتعالى فكأن لسان حاله يقول:

إياك تشهد غيره ودع العنا لا انت في هذا الوجود ولا أنا

إن فهم مناجاة النابلسي تحتاج الى قراءات أولى وثانية وثالثة وربما رابعة وخامسة ولا بد من ربطها مع مؤلفات النابلسي كالوجود الحق وكذا نجد علاقة تأثر النابلسي بنصوص ابن عربي والجيلاني والنفري في موقفه: "أوقفني وقال لي إن لم ترني لم تكن بي، وقال لي إن رايت غيري لم ترني" (الموقف 5). وقوله: "وقال لي: متى رأيت نفسك ثبتاً أو ثابتاً، ولم ترني في الرؤية مثبتاً حجبت وجهي وأسفر لك وجهك فانظر لي ماذا بدا لك وماذا توارى عنك". (الموقف 4) فكلاهما يستقيان من نفس المعين يثبتان الوجود الحق وماعداه فإن وهذه نظرة الصوفي وفلسفته فوجوده عرضي حادث فإن هالك ووجود الحق وجود قديم وكأن هذه التجربة الروحية عند النابلسي قد لخصها في هذه المناجاة ملخصة في عنوانها الذي يثبت فيه البقاء والقدم لله تعالى وهالك ما سواه ونجد بسطها وشرحها في كتب النابلسي ودواوينه فلطالما أشار إليها وصرح بها وألف فيما يخصها في التوحيد والتصوف حيث يعاين الوجود الحق ولا وجود لسواه والبقاء بالله والنابلسي في لغة المناجاة لا يستطيع أن يفارق مجاله المعرفي ولغة الوحدة الشهودية والوجودية فجاء في ألفاظه أنا الوجود، وانت الموجود ، أنت عبد الوجود لا عبد الموجود. يريد من هذه المناجاة ان يصل الى حقيقة المعنى الكامن في لفظتي الوجود والموجود ليفرق بين المصدر واسم المفعول ولا يجوز اطلاق المصدر على اسم المفعول ومن هنا جاء كتابه بعنوان الوجود الحق الذي يوضح خلاله معنى وحدة الوجود وهو ما أشار إليه في ديوانه صارخا في وجه منكر وحدة الوجود على اعتبار ان الخلق والحق واحد فيقول:

إنما وحدة الوجود لدينا وحدة الحق فافهموا ما نقول

وحدة الحق وحدة لاسواها شهدتنا منا الكبار الفحول

وكذلك نجد اللغة ذاتها في كتاب "الوجود الحق" حيث يقول: "إن الوجود هو الله تعالى، فلا تظن أننا نريد بذلك أن الموجودات هي الله تعالى سواء كانت الموجودات محسوسات أو معقولات، إنما نريد بذلك: إن الوجود الذي قامت به جميع الموجودات هو الله تعالى" الذي لا يرى وجوداً لما سوى الله ولن يصل مريد المعرفة: "الى تحقيق الوجود، والتحقق في الشهود [حتى] يتجرد عن ملابس الصور الحسية، والعقلية والخيالية، تجرداً أصلياً، لا تجرداً عارضياً فيكون كما هو كائن أزلاً وأبداً" (36)

ويحذر من الاعتقاد بوحدة الوجود الذي يعتقدونها أهل الضلال والإلحاد من أهل الجهل لأنه اعتقاد يجعل الخلق عين الحق وهو ضلال وجحود بل يقول بوحدة الوجود وكثرة الموجود، وهذه المعاني هي المقصودة في مناجاته ومن قرأ النابلسي لا يغيب عنه مثل هذا الفهم ولذلك ذكرت ان مناجاة النابلسي تحتاج الى القراءات المتعددة للوصول الى معانيه والتي عبر عنها بلغة

المحبة التي سيطرت على قلبه فعبر عنها بالمناجاة بلغة المحبة التي تفيض بالوجدان في حال من الاستغراق والغيبة في مطالع الجمال تارة والجلال تارة أخرى ولم تأت مناجاته نتيجة مقدمات ونتائج علمية وهو ما يعرف بوحدة الشهود بينما لغة العالم الذي البني على مقدمات ونتائج علمية يكتبها في حال الصحو وفي تمام العقل وحضور الفكر، دون أن تأخذه مشاهد الاصطلام وهو المعبر عنه بوحدة الوجود. ومن مناجاته في وحدة الشهود وهو في حال انفصاله يصرح باصطلامه وانفصاله عن ذاته مستغرقا في معراجة وحضوره مع الله اثناء الصلاة يقول: "كنت أصلي مرة فانفصلت عني، وخرجت مني فقال لي ربي عز وجل: يا عبيدي فانتظرت الخطاب منه فطال الأمر حتى قلت في قراءة الصلاة أنت خلقتني وأنا مسكينك، وهؤلاء يؤذوني معاداة لي فيك فجاءني الخطاب منه تعالى بلساني في قراءة الصلاة: (والسماوات ذات الرجوع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيّدون كيّداً وأكيد كيّداً فمهمل الكافرين أمهلهم رويداً) يسمع النداء منه ويخاطبه بقوله يا عبيدي فلما طال الأمر وبلغت هامسة لغة بوح المحبين ساعة التجلي باللقاء تعتربه حالة من الهيبة والجلال التي تجلت على العبد الذليل بهمس متدللاً على أعتابه أنت خلقتني وأنا مسكينك فيأتيه الرد من الله منتصراً لعبده (إنهم يكيّدون كيّداً وأكيد كيّداً فمهمل الكافرين أمهلهم رويداً) والهمس لغة المناجاة كما يتهامس العشاق ببوحهما فلا عجب أن تكون لغة المناجاة الصوفية لغة هامسة لأنهم: "يصدرون عن قلب فيه لهفة إلى الله ... فالتصوف ليس إلا وقدة في الإحساس، وكلُّ شعور قوي تصوّف مهمّا كان موضوع ذلك الشعور" (37)

3-3 مولد الروح المحمدية للشيخ محمد سعيد الكردي [ت:1972م]

ونمثل للعصر الحديث على النثر الصوفي القائم على الرمز والمصطلح الصوفي بقول: "فسبحان من أبدع جمال هذا المظهر المكنون في الصورة الانسانية، وجلاه على منبر التوحيد الخالص والافضلية، وكساه حلّة البيان من نسيج هاء الهوية، فحير بطلعته العقول والأذهان ، ... فقرأ أهل العرفان حروف حسنه المقيّدات وإطلاقها المعنوية وقد أيسّت العقول والفهوم وجميع الادراكات الكونية أن تقرأ رقوم سطوره بلسان او جنان...ولما أراد الله أن يعرف بصفاته الازلية ، أبرز من كنه ذاته جمال القدرة الاحسانية، وعلاه على منبر التعظيم في بهجته العلمية، فسرى سره في الحقيقة الأدمية، فعلم آدم الأسماء كلها علوية وسفلية، فكان آدم المشهود ومحمد صلى الله عليه وسلم المقصود في النشأة الكلية...اللهم انا نسألك النصر المبين بحرمة الذات الكنه السويّة، قبله وجوه تجليات الكنه الكنزية الجامع لحقائق كنه الكنه في الأولية والأخيرة... فهو لولاه ما ظهر الناسوت في اللاهوت الحقّ وسرّ الديمومية، عين الوجود المطلق الجامع لسائر التقيدات فرعية وأصلية، حتى تلذذ بجنة فردوس ذاته الحقيقية، إذ نظر نظرة صافية عن الغيرية، فكانت نظرته منه به فيه اليه فعرفه أهل المعارف القلبية فشاهدوه بالمشاهدة والعيان ، ففاض بحر قاموس الجمع المظمطوطراز رداء الكبرياء المطلسم، في مقعد الحرية الذي لا أحد يساويه ولا فيه يدانيه..." (38) وهكذا يسترسل الشيخ في قصة مولد الروح المحمد على هذا الشاكلة من الرموز العرفانية والاشارات الكشفية ما يقرب من العشر

صفحات بهذا السيل السلس وهذه الموسيقى الداخلية في النص الذي يحتاج الى أهل هذا الفن لفك شيفرة ألفاظه ومصطلحات التي تحدثنا عن أحمد الأولية والبشارة صلى الله عليه وسلم وما حوت هذه الروح من أسرار بثت في الكون المخلوق من أجله صلى الله عليه وسلم

هذا النص يغص بالمصطلحات العرفانية ويبين لنا الحقيقة الحقيقة المحمدية التي لها الأولوية في الخلق والآخرية في البعث، تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم "كنت نبيا وآدم منجلد في طينته" وقوله: "أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر".

فمن حيث الموسيقى خرج النص على شكل دقات شعورية شبه موزونة يتخلل جو الفقرة الواحدة ختم الجمل بالمصدر الصناعي ويختم الفقرات بالالف والنون ليمنحها موسيقى ناطقة تطرب الأذن من خلال ترديد الموسيقى التي تختتم بها الجمل؛ مما يبعث في المتلقي الانفعال الجمالي. ونضرب لذلك مثالا واحدا يقاس عليه النص كله:

"فتطوبى لمن دان بشريعته المحمدية...فله بذلك أفسح الجنان

هنيئاً هنيئاً لمن تخلق بأخلاقه السامية العلية...فقد حصل على كل فضيلة وإحسان

فتلألأ الكون بهجة وسرورا،

وظهر السر المصون بطلعته البهية

واستنار بأصداف الاختراعات البديعية،

وبدا سعد السعود من الرياض الحجازية، وأضاءت الأنوار في كل صقع ومكان.

ونجد في هذا النص الفاظاً غامضة واستعارات وتشبيهات ومحسنات بديعية ومصطلحات صوفية والنص قائم على الغموض فلندقق النظر في بعضها: سر وجود ينبوع الحقائق الوجودية...منبر التعظيم... تاج المملكة الالهية... صاغها لسان القلم... من نون نقطه حسنه... المعبر عنها بالعماء...فسرى سره بالرمز الذي ظهر من الكثر...وطرّز الله بجماله الأكوان...وكساه حلة البيان من نسيج هاء الهوية...فأعلنوا بلبيك منك وإليك...فكان آدم المشهود ومحمد المقصود...ظهر سر الخفاء وتلألأ نور المصطفى...فسرى سره بالرمز بأنه برز من الكثر...فنأدى منادى الظهور والبطون...لقد آن للزمان أن يجود بزهرة الأكوان...كنه الكثر وكنه الكنه... منه له به فيه...لولاه ما ظهر الناسوت في اللاهوت.

أيها الحاضرون الأخيار، والمختارون الأبرار، استغيثوا بغوث الأغواث، واشهدوا في ذلك حقيقته الحق الحقيقية فشاهدوه بالمشاهدة والعيان.

وما زالت النصوص الفنية تتولد حتى العصر الحديث⁽³⁹⁾، والتجليات والمناجاة لا تنتهي مادام هناك تصوف

هذه النصوص شكلت لنا موروثاً فنياً لكل طعمه ولونه وخصوصية، ومن خلال هذا الموروث النثري الصوفي لتجلياتهم التي وصلتنا عرفنا هذا الفن الرفيع الصافي الذي لا حظ للنفس فيه إنما هي مناجاة المحبين وإلهامات العارفين ومعارج الواصلين من

السالكين ووقفات أهل التحقيق والتعيين وسبيل العارفين الزاهدين في دنيا الناس المتعلقين بخالقهم الذين تجاقت جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون" تجليات تبين لنا العلاقة الخاصة بين العبد وربّه، بل تنفث في روعنا المحبة والتضرع والتذلل والتعلق بالباقي وتعرفنا بحقائق قد كنا نجهلها جلاها لنا العرفون من أهل الأذواق الذين عاشوا وماتوا ذاكرين متعلقين بالباقي وسيد المرسلين.

4- الدراسة الفنية وموسيقى البديع لفن المناجاة وقصة المولد

1-4 السجع والجناس: من خصائص الأسلوب حسن انتقاء اللفظ وسكبه في مكانه اللائق في السياق فلكل لفظة قيمتها وانسجامها خلال ترتيبها في الجملة، مع النص الموضوعية فيه وذلك يؤدي الى اصدار أصوات للحروف ترتاح لها الاذن ويقع تأثيرها في القلب. والكاتب الملمهم يشعر بهذه القيمة الموسيقية حين يخرج نصّا جميلا ترحاح له الأذن وتتعشقه النفس لخفة كلماته على اللسان وحسن وقعها على سمع الانسان والاديب حريص على تشكيل الجملة والنص برمته كما اهتم بالكلمة وحروفها؛ فتأتي ألفاظه خفيفة منسجمة مع الذوق السليم مما يجعل أسلوبها مؤثرا في المتلقي ناهيك عما للنغم من أثر يزيد في القيمة الجمالية لدى السامع ، فمثل هذا الأسلوب يكون له وقع السحر في المتلقي، ويجعله يعيش مع عالم النصّ، فيدغدغ عواطفه فرحا وحزنا وحماسة ويثير فيه الشجاعة والمحبة والكره والانتقام... الخ وهذه الموسيقى الداخلية في النص هي سرّ التأثير على المتلقي وهي متوافرة في فن المناجاة وما ذاك الا لقدرة المناجي على حسن اخيار ألفاظه وترتيبها في الجملة، فنص رابعة العدوية ناطق بالموسيقى لانسجام حروفها وكلماتها وترتيبها؛ لذا كان لها هذا التأثير الذي فعل فعله في المتلقي: "إلهي أغرقني في حبك حتى لا يشغلني شيء عنك، إلهي أنارت النجوم ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك ... إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنا؟!، أم رددتها على فأعزى؟!، فوزعتك هذا دأبي ما أحيتني وأعنتني، وعزتك لو طردتني عن بابك ما برحت عنه؛ لما وقع في قلبي من محبتك" كم لهذا التذلل على اعتاب الحبيب من وقع الجناس في قولها نارت النجوم ونامت العيون ووقع المقابلة في قولها: أقبلت ليلتي فأهنا، أم رددتها علي فأعزى، وكذلك مناجاتها: إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر " كم كان لهذه المحسنات اللفظية والمعنوية من دور في التأثير بالمتلقي لحسن موسيقاها. ألفاظ سهلة على النطق منسجمة أيما انسجام، وعليه قس أغلب النصوص النثرية الشعرية التي اوردناه في هذا البحث والتي أوصلت للمتلقي معنى المناجاة، خلال نصوص شاعرية فنية لم ضرب النقاد عنها صفحا معتقدين انها ادعية تخلو من القيمة الفنية حتى عرفوا أخيرا انها نصوص ملهمة لشعراء قصيدة النثر، حين نظروا فيها ودققوا النظر فوجدوها نصوصا تحتذى يتمثلها أهل الأدب والفن وذلك لأن أهل الأدب من الصوفية يملكون اللغة بكل أشكالها وأدواتها وأساليبها فقد وجدناهم قد أنتجوا أدبا يعبر عن تجربتهم الصوفية وصدر هذا الادب عن موهبة تحرك الوجدان وتلهم الادباء والشعراء .

من خلال النصوص التي قدمناها سابقا لاحظ الباحث الموسيقى التي تعتمدها والموسيقى مناط الشعر ولغته وحين نتحدث عن موسيقى النثر فلا بدّ للدراس أن يعرج على المحسنات اللفظية والمعنوية التي تكمن في علم البديع وما يحتويه من موسيقى الكلمة الذي ينبع من أصوات الحروف، حيث تسمع موسيقى تترك صداها في السمع وتشد السامع اليها وتترك أثرها في القلب والفكر وهذه الموسيقى تكمن في المحسنات اللفظية والتي نجدها في الجناس والطباق والسجع ومثل هذه التشكيلات الإيقاعية الواردة في القطعة النثرية تعوض عن الوزن والقافية الموجودة في الشعر مما يؤدي الى ظهور الجمال الموسيقي وهو ما نسميه شاعرية النثر فتساوي الفواصل في الجمل المسجوعة او المرسله تشعرنا بتلك الموسيقى التي سيطرت على الكثير من نصوص المناجاة الصوفية وأثر هذا في اسلوب النثر الصوفي عامة وفي المناجاة والحكم خاصة.

والجملة الصوفية لا تخلو من سجع او جناس او طباق أو مقابلة أو مماثلة أو ازدواج، فالسجع شائع في المناجاة الصوفية كمحسن بديعي يكسوها سمة جمالية وحسا موسيقيا كما نجده في مقالات الجيلاني: "وَأَيُّنَ الْأَيِّنَ وَتَعَزَّزَ عَنِ الْأَيِّنِيَّةِ، وَوُجِدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَتَقَدَّسَ عَنِ الظُّرْفِيَّةِ، وَحَضَرَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَعَالَى عَنِ الْعِنْدِيَّةِ" وكقوله في المقالة الغوثية: "كُلُّ طَوْرٍ بَيْنَ النَّاسِوتِ وَالْمَلَكُوتِ فَهُوَ شَرِيعَةٌ وَكُلُّ طَوْرٍ بَيْنَ الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ فَهُوَ طَرِيقَةٌ وَكُلُّ طَوْرٍ بَيْنَ الْجَبَرُوتِ وَاللَّاهُوتِ فَهُوَ حَقِيقَةٌ" وقول ابن عطاء الله السكندري: "إلهي كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان" وقوله: "ماذا وجد من فقدك، وماذا فقد من وجدك". وقوله: "يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته، فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس هيبته، فقاموا بعزته مستعزين". إلهي ان رجائي لم ينقطع وإن عصيتك، كما إن خوفي لم يزايلني وإن أطعتك" ورابعة تشدو: "إلهي اجعل الجنة لأحبائك، واجعل النار لأعدائك، وأما أنا فحسبي أنت". إنها موسيقى السجع وفواصل الجمل التي تغني متذوق الأدب عن الوزن والقافية وتحرك وجدانه وتغزو فكره ولبه فمتذوقوا الأدب سيجدون متعته في نصوص المناجاة الصوفية.

2-4 الطباق والمقابلة: من المحسنات المعنوية تعني الجمع بين الضدين في الكلام والشيء تعرف باضدادها فهي من سمة فنية من سمات الأدب الصوفي شعره ونثره فالمصطلح الصوفي قائم على المقابلة فمن مصطلحاته الوجود والعدم والحدوث والقدم والقبض والبسط والفناء والبقاء والجمال والجلال، والبعد والقرب، والحق والخلق، والظاهر والباطن... الخ، ويرى بعض الباحثين أنّ الجناس والطباق لهما دلالة بنيوية في الشعر الصوفي وهما من سلالة مبدأ التصوف، فالجناس يدل على التوحد فهو دليل الجمع والوصل، والطباق دليل تمايز وفرق وفصال. صحيح أن الطباق دليل انفصال ولكن في شق منه فالقرب وصال، والبعد تمايز وفرق وفصال⁽⁴⁰⁾، وكذلك القبض والبسط، والفرق والجمع والمحو والإثبات... الخ

ومهما يكن فالطباق عند الصوفية لم يأت مقصوداً لذاته إذ طبيعية التجربة والحالة الشعورية تحتم على الشاعر الصوفي اللجوء إلى المقابلة إذ لولا السكر لما وجد الصحو، ولولا القبض لما عرف البسط، ولولا الفرق لما عرف الجمع، فإذا شعر

بواحدة طلب الأخرى ومن هنا تحتم طبيعة التجربة الصوفية عدم فصل الشكل عن المضمون وذلك لأن الشكل أصبح مضموناً ((41)). وأمثله كثير نشتهد عليها من مناجاة النابلسي والقائمة على المائر في أغلبها لأنها مناجاة عقديّة يبين فيها النابلسي عقيدة القائمة على النفي والاثبات والوجود والعدم: "ثم قال لي أنا أنت، وأنت لست أنا .. يا عبدي أنا الموجود ولا أنت.. يا عبدي كل الناس عبيد نعمتي، وأنت عبد ذاتي .. الوجود أنا والموجود غيري .. إن أغنيتك بي أغنيتك، وإن أغنيتك بغيري أفقرتك .. يا رب أنت الوجود وحده، فقال لي: أنا الوجود وحده ، وأنت العدم وحده.. وكيف السراج يقترن بظلمة البيت " .

فالمطابقة في قوله: "أنا أنت ، وأنت لست أنا" إشعاراً بقوله: كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر ويده التي يبطش بها ورجلي التي يمشي عليها ، ووقوله تعالى: "وما رميت إذ رميت " أثبت له الرمي على المجاز ونفاه عنه على الحقيقة. أما قوله أنت لست أنا ينفي عنه الحلول والاتحاد لأنه هو الوجود الحق سبحانه وما سواه العدم المحض . بدليل قوله " أنا الموجود لا أنت" مطابقاً بين الضميرين وطابق في قوله: "أغنيتك- بي.. وبغيري أفقرتك" وبين " أنا الوجود وحده وأنت العدم وحده" وهكذا نجد الثنائيات المتقابلة مبثوثة في جميع نصوص المناجاة ثبت فعل الله في الخلق الذي هو باق، وتنفي تأثير المخلوق الذي هو فان. ولا يكون قرب من الله الا بتحييد الأنا.

فبالنثر الصوفي تكتمل حلقة الأدب الصوفي شعراً ونثراً ومن خلالهما تنبعث رسالته الربانية الروحية ليصنّف ضمن قائمة الأدب العربي الرفيع هذا الأدب الروحاني السامي الذي يربط العبد بربه من خلال التجربة الصوفية، ومطارحة الجمال الإلهي وأفراده بالألوهية والتعلق به سبحانه من خلال الحبّ والوجدان، وعليه فالنثر والشعر هما الوسيطتان الفيتان لنقل تلك التجربة.

3-4 خصائص ومزايا النثر الصوفي فن المناجاة

1. بدأ النثر الصوفي بفن المناجاة ولم تعرف قيمتها الادبية الا حديثاً لشاعريتها.
2. نصوص المناجاة عبارة عن دفعات شعرية ولكل دفقة معنى مستقل عما قبلها، ربّ لا تسلطها عليّ - ربّ إنّ نفسي - لم ترحمني فارحمني- ربّ إني أعذرهما ولا عذرتني، إنه ان يك خيراً أخذلها وتخذلني،
3. نجد في المناجاة اسلوب الحوار الداخلي القائم على صراع الانسان مع نفسه الامارة بالسوء مما يضفي لذة التلقي ومتابعة المناجاة وفي الوقت نفسه نجد في المناجاة اسلوب تهذيب النفس وزجرها وتوبيخها بطريقة دبلوماسية عن طريق تريضها وتذليلها حتى ترجع عن غيها وتخضع لباريها " واسواتاه لم أستح ولم أراقب!! واسواتاه! ويحي! حفظوا ما

- ضيعت مني ويحي! طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني. ويحي! ويحي! طاوعتها فيما يضرها ويضرني ويحها ألا تطاوعني فيما ينفعها وينفعني أريد اصلاحها وتريد أن تفسدني ويحها اني لأنصفها وما تنصفي أدعوها لأرشدتها وتدعوني لتغويني"
4. أسلوب المناجاة من الأساليب السهلة الممتنعة، ولكن هذا لا يعني أنه ينطبق على جميع النصوص، فهناك ممتنع، وهناك سهل. والموضوع هو الذي يحدد الأسلوب فلغة النص الفلسفي يختلف عن النصوص الأخرى التي اثبتناها في هذا البحث فلغة النفري والنابلسي وابن عربي والحلاج لغة فلسفية صعبة وما عداها كانت مؤثرة واضحة لأنها يستخدم المصطلح الصوفي والمصطلح العقيدي وهكذا.
5. الصدق في التعبير عما يحس ويشعر به المؤلف فهي نصوص غاية في الصدق لأنها أقيت في ساعة خلوة وتذلل ومناجاة ، أن ما كتبوه يكاد ان يكون إلها ما وليس مأخوذا من مطالعات وقراءات.
6. تشيع في نصوصهم المصطلحات الصوفية والكلامية واللغوية.
7. التوسع في الخيال وظهر هذا في مناجاتهم لله – تعالى
8. التأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعراء والأمثال مما دعاهم إلى الاقتباس والتضمين في هذه النصوص.

النتائج: خلص الباحث الى النتائج التالية

1. النثر الصوفي نثر فني أدبي لا يجوز إهماله بحال لما يشيع فيه من قيمة فنية قائمة على التأمل
2. فن المناجاة فن من فنون النثر الأدبي ظهر بظهور الاسلام وتطور على ايدي علماء التصوف الاسلامي
3. فن المناجاة من فنون الادب العربي الاسلامي يترفع في ذوقه على الآداب الغربية والشرقية.
4. يعتبر فن المناجاة رافدا من روافد قصيدة النثر وبداية لها.
5. هناك كم هائل من المناجاة الصوفية التي لم يتم دراستها ولم يطلع الدارسون عليها.
6. النثر الصوفي نثر خلاق لما فيه من غموض ويحتاج الى اعمال الفكر واعادة النظر
7. قمت بمتابعة ومراجعة ودراسة مناجاة النابلسي وتسليط الضوء عليها ولم يسبق الى ذلك على حد علمه.
8. عرض الباحث وللمرة الأولى لأدب الشيخ سعيد الكردي في رسالته مولد الروح المحمدي

الهوامش والإحالات

(1) مثل دراسات شوقي ضيف وزكي المبارك وعمر الدقاق دون الإلتفات إلى النثر الصوفي

(2) ظهر الاسلام ، أحمد أمين ط3، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ج4 ص172 وفلسفة مولد الروح المحمدية عند الشيخ الكردي
From Sufi prose. The technical value of Sufi proseThe art of communion for Abdul -Ghani Al -Nabulsi, and the philosophy of
the birth of the Muhammadan spirit of Sheikh Al -Kurdi

(3) . ظهر الاسلام ، م س، ص 173

(4) القضايا النقدية في النثر الصوفي وضحي يونس، ص102

(5) في رياض الأدب الصوفي، علي الخطيب: القاهرة، دار نهضة الشرق، 2001، ص 204).

(6) انظر معاجم اصطلاحات الصوفية وهي كثيرة

(7) سيرة ابن اسحق ص379

(8) الأعلام ، خيرالدين الزركلي، ج5، دار العلم للملايين، ط1997، ص12، ص98

(9) حلية الأوليا وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ج4، 1996، م دار الفكر بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص255-260

(10) شرح ابن عباد الرندي على الحكم ج2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر 1939م، ص92

(11) شرح ابن عباد الرندي م س ص103

(12) الروض الفائق في المواعظ والرقائق، شعيب الحريش، مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الأخيرة 1949م ، ص137 وانظر صفوة الصوة، ابن الجوزي، تحقيق أحمد بن علي، ط2000م، ج2 ص246

(13) طبقات الصوفية كتاب الشعب، ابو عبد الرحمن السلمي، تحقيق احمد الشرباصي، ط2، 1998م، ص14

14 مقدمة لطائف الاشارات، للامام القشيري، والمقدم الاستاذ حسن عباس زكي، دار الكاتب العربي-القاهرة- المجلد الأول، ص17

15 ابن عربي ومولد لغة جديدة، د. سعاد الحكيم، ، ص: 17-24.

16 الرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندي- نهضة مصر- القاهرة ص530

17 ديوان ابن الفارض، ص:46

18 مشكاة الانوار فومصباح الاسرار ، حجة الاسلام الغزالي، ضبط وتقديم رياض العبداللهدار الحكمة: دمشق1986، ص72

(19) الفتوحات المكية ابن عربي، ص189

(20) التعبير الصوفي ومشكلته ، عبد الكريم اليافي، د.ط ، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 200م، ص52

(21) التعبير الصوفي ومشكلته ، عبد الكريم اليافي ، م س ص59

(22) التعبير الصوفي ومشكلته ، عبد الكريم اليافي، ص63

(23) التعبير الصوفي ومشكلته ، عبد الكريم اليافي، ص 74

(24) أبو حيان التَّوحيديُّ الإِشَارَاتُ الإِلَهِيَّةُ – ص : 49

(25) في رياض الأدب الصوفي، علي الخطيب: القاهرة، دار نهضة الشرق، 2001، ص 204).

(26) توظيف الموروث الصوفي في الشعر العربي المعاصر طالب أحمد بن محمد المعمري، القاهرة، 2007، ص 38، مخطوطه، معهد البحوث والدراسات

(27) الأعمال الكاملة، الحلاج الحسين بن منصور، تحقيق قاسم محمد عباس، بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، 2002، ص 249

(28) المواقف والمخاطبات، محمد بن عبد الجبار النفري، تصحيح واعتماد أثر يوحنا أبري، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط 1، ص 3 و 160

(29) انظر المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، أحمد بن مصطفى العلاوي، المطبعة العالوية بمستغانم، ط 2، 1989 م

(30) ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص 206

(31) انظر ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني، تحقيق ودراسة يوسف زيدان، دار الجيل بيروت ص 35

(32) انظر ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني، تحقيق ودراسة يوسف زيدان، دار الجيل بيروت ص 270

(33) ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص 185

(34) أديب وجودي في القرن الرابع الهجري، عبد الرحمن بدوي: سلسلة الذخائر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996، ص 21

(35) مخطوطة مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات تحت رقم 218 تصوف 1399/1119 هـ

(36) الوجود الحق والخطاب الصديق، عبد الغني النابلسي، تحقيق بكري علاء الدين، دمشق 1995، ص 9

(37) في الميزان الجديد، محمد مندور، مؤسسات ع. بن عبدالله، تونس، ط 2، 1993 م، ص 101

(38) ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية، العارف بالله الشيخ محمد سعيد الكردي، تحقيق الشعار واللبابيدي، ط 1، 2022 م، ص 39

(39) منها مناجاة المحدث محمد عبدالله الصديق الغماري على الوظيفة الشاذلية وكذلك تصليات أ. يسري جبر ومولد الروح المحمدية للعارف بالله الشيخ محمد سعيد الكردي

(40) ابن الفارض، شاعر الحب الإلهي، يوسف سامي اليوسف، ص: 101.

(41) الشاغوري شاعر التصوف في القرن العشرين، رضوان إيزولي الكردي، ط 1، 2000 م، دار الفتح، عمان، المصادر والمراجع:

2. ابن عربي ومولد لغة جديدة، د. سعاد الحكيم.

3. أديب وجودي في القرن الرابع الهجري، عبد الرحمن بدوي: ، سلسلة الذخائر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996،

4. الإشارات الإلهية أبو حيان التّوحيد - ص: 49

5. الأعلام ، خير الدين الزركلي، ج5، دار العلم للملايين، ط12، 1997م

6. الأعمال الكاملة، الحلاج الحسين بن منصور، تحقيق قاسم محمد عباس، بيروت، دار رياض الريس للكتب والنشر، 2002

7. التعبير الصوفي ومشكلته ، عبد الكريم اليافي، د.ط. ، دمشق، منشورات جامعة دمشق، 200م، ص52

8. توظيف الموروث الصوفي في الشعر العربي المعاصر طالب أحمد بن محمد المعمري، القاهرة، 2007، ص38، مخطوطه، معهد البحوث والدراسات

9. حلية الأوليا وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني ج4، 1996م، دار الفكر بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة،

10. ديوان ابن الفارض

11. ديوان الشيخ عبد القادر الجيلاني ، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، دار الجيل، بيروت ، د.ت،

12. ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية، العارف بالله الشيخ محمد سعيد الكردي، تحقيق الشعار واللبايبدي، ط1، 2022م،

13. الرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندي - نهضة مصر - القاهرة

14. الروض الفائق في المواعظ والرقائق، شعيب الحريفيش، مصطفى الباي الحلبي بمصر ، الطبعة الأخيرة 1949م

15. سيرة ابن اسحق

16. الشاغوري شاعر التصوف في القرن العشرين ، رضوان إيزولي الكردي، ط1، 2000م ، دار الفتح ، عمان.

17. شرح ابن عباد الرندي على الحكم ج2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر 1939م،

18. صفوة الصوة، ابن الجوزي، تحقيق أحمد بن علي، ط2000م، ج2

19. طبقات الصوفية كتاب الشعب، ابو عبد الرحمن السلمي، تحقيق احمد الشرباصي، ط2، 1998م

20. ظهير الاسلام ، أحمد أمين ط3، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ج4

21. الفتوحات المكية ابن عربي،

22. في الميزان الجديد، محمد مندور، مؤسسات ع. بن عبدالله ، تونس، ط2، 1993م،

23. في رياض الأدب الصوفي، علي الخطيب: القاهرة، دار نهضة الشرق، 2001

- في رياض الأدب الصوفي، علي الخطيب: القاهرة، دار نهضة الشرق، 2001،
24. القضايا النقدية في النثر الصوفي وضحي يونس
25. لطائف الاشارات، للامام القشيري، والمقدم الاستاذ حسن عباس زكي، دار الكاتب العربي-القاهرة- المجلد الأول
26. مخطوطة مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات تحت رقم 218 تصوف 1399/1119 هـ
27. مشكاة الانوار فومصباح الاسرار ، حجة الاسلام الغزالي، ضبط وتقديم رياض العبداللهدار الحكمة: دمشق 1986،
28. مناجاة المحدث محمد عبدالله الصديق الغماري على الوظيفة الشاذلية
29. المواد الغيائية الناشئة عن الحكم الغوثية، أحمد بن مصطفى العلاوي، المطبعة العلاوية بمستغانم، ط2، 1989م
30. المواقف والمخاطبات، محمد بن عبد الجبار النفري، تصحيح واعتماد أرثر يوحنا أبري ، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط1
31. مولد الروح المحمدية للعارف بالله الشيخ محمد سعيد الكردي
32. الوجود الحق والخطاب الصديق، عبد الغني النابلسي، تحقيق بكري علاء الدين، دمشق 1995